

## تجليات الذوق الأندلسي عبر عمران المغرب الأوسط " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

## Manifestations of Andalusian taste through the urban development of central Maghreb

## " a descriptive approach to history and heritage "

1 ط.د/ وقازي حياة ouagazi hayet 2 د/ بن نبلي لخضر Lakhdar bennili

1 جامعة البليدة-2- (علي لونيبي) ، مخبر البحوث التاريخية والحضارية

UNIVERSITE DE BLIDA2 ( LOUNICI ALI)

2 جامعة البليدة-2- (علي لونيبي) ، مخبر البحوث التاريخية والحضارية

. UNIVERSITE DE BLIDA2 ( LOUNICI ALI)

المؤلف المرسل: ط.د/ وقازي حياة ouagazi hayet البريد الإلكتروني: etus.h.uoagazi@univ-blida2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/ 27 تاريخ القبول: 2025/05/ 24 تاريخ النشر: 2025 /12/28

## الملخص:

يظهر بمدن المغرب الأوسط العديد من التأثيرات الثقافية الوافدة التي تلاحقت مع الموروث المحلي لتشكل تاريخ وهوية سكانها، والظاهر أنّ موقع المدن الجزائرية قديماً ووسيطاً وحديثاً، وتفاعل مجتمعتها قد ساعد على عملية التأثير والتأثر، وبذلك كان التلاقح الحضاري بين الوافد والمحلي لينتج لنا مظهرها حضارياً راقياً ساهم في الحضارة الإنسانية بشكل مباشر ونافع.

وتأتي هذه الورقة البحثية لتساهم في إبراز التاريخ الحضاري للمدينة، آخذين الموروث الأندلسي كعينة لإبراز الظاهرة، حيث سنركز على جانب مهم وهو العنصر الدوّقي الأندلسي في الفنّ المعماري بالمغرب الأوسط، باعتبار أنّ جلّ المصادر التاريخية والجغرافية تتفق على أنّ الأندلسيين كان لهم دوراً حضارياً كبيراً في البلاد، من خلال التصميم المعماري وحتى مواد البناء والرّخارف الهندسية بالمساجد وغيرها من العمارة ذات الطّابع الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط \_ التاريخ الحضاري \_ الفن المعماري \_ الموروث الأندلسي.

**Abstract:**

The cities of sho central Maghreb w many imported cultural influences that have been intertwined with the local heritage to form the history and identity of its inhabitants. It appears that the location of Algerian cities in the past, the Middle Ages, and the modern times, and the interaction of their society have helped in the process of influence and being influenced. Thus, the cultural cross-pollination between the imported and the local has produced for us a sophisticated cultural appearance that has contributed to human civilization Directly and usefully. This research paper contributes to highlighting the city's cultural history, taking the Andalusian heritage as a sample to highlight the phenomenon. We will focus on an important aspect: the Andalusian aesthetic element in the architecture of central Maghreb, given that most historical and geographical sources agree that the Andalusians played a major cultural role in the country, through architectural design and even building materials. And the geometric decorations in mosques and other Andalusian-style architecture.

**Keywords:** Central Maghreb - Civilizational History - Architecture - Andalusian Heritag.

**1. مقدمة:**

إنّ موضوع الموروث الأندلسي ومساهمته في بناء حضارة بلاد المغرب الأوسط لا يزال في حاجة إلى عميق بحث واستمراريته باعتبار تشعبه وتعدده وتنوعه، فقد تناولت العديد من الدّراسات الحضور الأندلسي بالمغرب الأوسط، ولكن بتركيزها أساسا على الدّور السياسي والعلمي للأندلسيين، في حين تبقى العديد من المجالات تستوقف النابه للنظر فيها. وقد لاحظت وأنا أراجع الكثير من التفاصيل الحضارية ببلادنا فوجدت أن قضايا الذوق والفن الاندلسي جديرة بالنظر والبحث، وتولّدت لدي الرغبة والدافعية لحوض غمار البحث في القضايا والمسائل المتعلقة بالموروث الأندلسي ودوره في ازدهار الحياة الثقافية والاجتماعية في المغرب الأوسط، وأهم التّغيرات التي حدثت في هذا المجال. وإذ نلاحظ ذلك على مستوى اللغة واللهجة أو اللباس والمأكل أو السلوك والعادة فإنّ المباني وأصناف العمران كان لها نصيب من التّأثير سواء العمران الواسع كالمدين والقصور ببساتينها أو العمران العادي كالمساكن وزخارفها أو القصور والمساجد بأشكالها أو الحارات والأزقة وحرفها وحوانيتها. وقد حاولت ان أحصر إشكاليتي ضمن

سؤال اختلج في ذهني مفاده، ما مدى حضور الموروث الأندلسي في ازدهار الحياة الفنيّة والحضارية في بلاد المغرب الأوسط؟ وهي إشكالية تتضمن مجموعة أسئلة قد تفسر البعد الذي نود طرحه ومنها، هل كان تأثير الفنّ الأندلسي على عمران المغرب الأوسط آتياً أم أصبح موروثاً حضارياً يتوارثه سكان المنطقة عبر العصور؟ وما هي أهمّ اللمسات المعماريّة للأندلسيين في العمارة المغرب أوسطية؟.

إنّ علاج الإشكالية السابقة يدعو إلى دراسة الموضوع وفق المنهج التاريخي لتتبع التأثيرات التي رافقت الهجرات الأندلسية سواء الاضطرارية أو الطّوعيّة منها تحت طائلة أيّ ظرف من الظّروف نحو بلاد المغرب الأوسط، عبر أزمنة مختلفة وما نتج عنها من ازدهار في مجال العمران.

## 2. الجغرافية التاريخية لبلاد المغرب الأوسط:

لا يسعني وأنا أنطرق إلى تأثير المكان والبيئة الجغرافية سوى الاستئناس بابن خلدون (ت808هـ) من خلال مقدمته، حينما جعل الظواهر الاجتماعية نتيجة لهذه البيئة على النحو من الأنحاء، كما جعل لها أثراً واضحاً في تمييز المجتمعات بعضها عن بعض.<sup>(1)</sup>

وعليه نرى أنه من الضّروري التعرف على مناطق العمران البشري من حيث جغرافيتها وبيئتها، ليسهل على الباحث دراسة العوامل المؤثرة في تلك المناطق.

إنّ ظهور لفظ وتسمية المغرب الأوسط كمصطلح جديد يمثل مجال جغرافي ما، كان أول من أشار إليه الجغرافي أبو عبيد الله البكري الأندلسي (ت487هـ/1094م)، حيث ذكر حدود بلاد المغرب الممتدة من "برقة إلى طنجة، ثم قام بتقسيمه إلى مناطق ثلاثة: افريقية وقاعدتها القيروان، والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان والمغرب الأقصى...".<sup>(2)</sup> ليأتي بعده الإدريسي (ت560هـ/1164م) المنطلق من فكر سياسي في طرحه لقضية حدود المغرب الأوسط شأنه شأن المصنّفات الجغرافيّة الأخرى، حيث يذكر المغرب الأوسط وقاعدته بجاية: "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد حماد"<sup>(3)</sup>، فالمغرب الأوسط بالنسبة له هو المجال الخاضع للحكم الحمّادي (395-547هـ/1004-1152) الممتدّ من بونة شرقاً (عنّابة

حاليّاً) إلى سويسرات غرباً ومن السّاحل المتوسط شمالاً إلى ورجلان جنوباً.<sup>(4)</sup>

## " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

في الكتابات التاريخية نورد الطرح الخلدوني المبني على المعيار القبلي وهو طرح منطقي لمرحلة معينة؛ وهي مرحلة ما قبل القرن الخامس الهجري أي ما يُعرف بما قبل (التغريبة الهلالية)، حيث يذكر أنّ المغرب الأوسط قاعدته تلمسان ثم يذكر بعض المدن كالجائر وبجاية وبونة<sup>(5)</sup>؛ وقد استند في تحديده لهذا المجال (المغرب الأوسط) إلى ظاهرة تجمّعات القبائل البربرية بداخله، فذكر أنّ قبيلة زناتة سكنت المنطقة الممتدة ما بين وادي ملوية غربا، إلى وادي الشلف وإقليم الزّاب شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا، أمّا فيما يخص قبائل صنهاجة فيذكر أنّها استقرت في الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا، وكنامة وعجيسة وهوارة سكنت جيغل وبونة وقسنطينة والأوراس، وما وراء حدود إفريقية إلى طرابلس<sup>(6)</sup>.

وسمّي هذا النّطاق بالمغرب الأوسط كونه يتوسّط المغربين الأدنى والأقصى<sup>(7)</sup>، وكانت عواصمه تباعا حسب الكيانات السياسيّة التي ظهرت فيه من إمارات ودول بداية من مدينة تيهرت عاصمة الدّولة الرّسميّة (160-296هـ / 776-909م) ذات المذهب الإباضي، وفي أيام الدولة الحمّاديّة (398-547هـ / 1007م-1152م) التي خلفت الفاطميين في حكم المغرب برزت عدة مدن كعواصم انطلاقا من مدينة أشير فالقلعة ثمّ بجاية<sup>(8)</sup>، لتنتقل عاصمة المغرب الأوسط إلى مدينة تلمسان غربا أيام الدولة الزيانية في القرن 7هـ. وإنّه بالرغم من خوض العديد من الجغرافيين والرّحالة في هذه المسألة، كان لا بد علينا أن نعرج على هذه الجزئية من أجل الدخول المباشر في الموضوع.

## 3. الجغرافية التاريخية لبلاد الأندلس:

هسبانيا Hispanai \_ أو أسبانيا Espanà \_ ثالث أشباه الجزر الكبيرة في بحر الروم، وكانت في العصور القديمة تشغل موقعا متطرفا في نهاية المعمور من الأرض غربا... وكان القسم الشرقي منه هو الذي يستقبل تيارات الحضارة والهجرة، على انه إذا كان ثمة اتصال بين أسبانيا والأراضي التي تليها شمالا فإنّ هذا الاتصال كان يدني منه البرتات Pirineos، وهي سلسلة جبال عالية ووعرة، تجعل المرور عبر بواباتها الأربع أمرا صعبا.<sup>(9)</sup>

وقد وصل المسلمون بداية ق8م (2هـ) ليفتحوا هذه الأرض ويتوسعوا خلالها حاملين تأثيراتهم الروحية والفكرية والسلوكية أو ما يعرف بالتأثير الحضاري الذي سيستطيل لما يزيد عن ثمانية قرون، وفي نفس الوقت ستطال بلاد المغرب والاطوسط منه خصوصا تأثيرات الاندلسيين التي هي موضوع بحثنا.

#### 4. العوامل المؤثرة في ظاهرة الوفاة الأندلسية على بلاد المغرب الأوسط:

إذا تعرضنا للظروف والعوامل التي كانت وراء اختيار الأندلسيين لبلاد المغرب الأوسط كواحدة من الوجهات المفضلة لمسار رحلاتهم خلال العصر الوسيط سنجد لها عديدا، حيث تشير الوثائق إلى هجرات أندلسية مبكرة كانت قبل سقوط غرناطة عام 1492م، فالعلاقات بين العدوتين بقيت دوما مفتوحة رغم فترات التوتر والانغلاق السياسي، والمعاملات التجارية الاقتصادية وحضور الجماعات والافراد غدوا ورواحا كان السمة البارزة بين المجالين. وإن كانت تبدو للبعض أنّ أول هجرة أندلسية واضحة نحو الجزائر الثعلبية كانت إثر سقوط سرقسطة البيضاء عام 512هـ/1118م واستقرارهم في أعالي الجزائر بحجى الثغرين<sup>(10)</sup>، فإنّ العودة إلى حيثيات الفتح ودخول الاندلس ضمن ولاية بلاد المغرب لفترة يجعلنا نراجع فكرة بداية التواصل بين الضفتين بسقوط سرقسطة.

نعتقد بأن انتقال الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط قد ضبطته عوامل مختلفة يمكن حصرها في النقاط التالية:

#### 4.1. العامل الطبيعي والجغرافي:

إذ القرب الجغرافي بين بلاد المغرب الأوسط ومدن العدو الأندلسية كان له الأثر البالغ في ظاهرة وفادة الجماعات البشرية الأندلسية (المسلمين وغير المسلمين) من شتى المدن الأندلسية، فهناك أكثر من منفذ بحري يربطها مع موانئ ومرافئ ومدن الأندلس، كما شكلت موانئ بجاية وارشكول ووهران وهنين<sup>(11)</sup> مراسي هامة يفد من خلالها الأندلسيون<sup>(12)</sup>.

" مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

## 2.4 العامل الديني:

وتتمثل في وحدة المذهب المالكي حين اهتم حكام المجالين بترسيخه بكل ما أوتوا من قوة مستخدمين في ذلك وسائل ومؤسّسات وأعلام<sup>(13)</sup>، ومن بين أهمّ العوامل الدّينية صدور العديد من الفتاوى تحرم عيش المسلمين في بلاد الكفار، خوفا على دينهم خاصة وأنهم كانوا يجبرونهم بين ترك الإسلام واعتناق المسيحيّة أو القتل، وقد وقع في هذا جدال بين الفقهاء بضرورة الهجرة أو البقاء، وهو ما ذكرته العديد من المؤلّفات المصدرية كنوازل الونشريسي ورسائل المغراوي، مثلما كتبت في ذلك كتب ومقالات.

## 3.4 العامل السياسي والأمني:

يظهر واضحا أن من أهم وأقوى أسباب الوفاة الأندلسية على بلاد المغرب الأوسط هي حركة الاسترداد القشتالية والأراجونية وسقوط عديد المدن والحصون بيد النصارى<sup>(14)</sup>، ثمّ تأثير محاكم التفتيش التي كان لها غاية واحدة وهي القضاء النهائي على الوجود الإسلامي في الأندلس، وهذا ما جعل الانتقال إلى منطقة المغرب الأوسط تكون اضطرارية في غالب الأحيان بحثا عن السلم والأمن وفرارا بالدين والجسد والولد، عرفت خلالها مدينة تلمسان تدفقا ملحوظا للأندلسيين عقب التّكبة الأندلسية، وقد كان لسلطين تلمسان دور كبير في تشجيع الهجرة الأندلسيّة، وعلى سبيل المثال السلطان يغمراسن(633- 681هـ/ 1235- 1283م) الذي اسدى رعايته بعناية فمَنحهم السّكنى والأراضي الزراعية المناسبة للنّشاطات التي فقدوها بالأندلس، وكان أغلبهم من الأعلام وأهل البيوتات ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس<sup>(15)</sup>؛ ومن بين أهمّ من هاجر إلى مدينة تلمسان، السلطان النَّصري أبو عبد الله الزغل وحاشيته، وهذا قبيل سقوط مدينة غرناطة 797هـ-1491م<sup>(16)</sup>، في اطار مبدأ اللجوء السياسي للقادة والحكام.<sup>17</sup>

كما يذكر صاحب " وصف افريقية " الحسن الوزان أحد الأسباب المهمة للوفاة الأندلسية على بلاد المغرب وهي الانهيار الديمغرافي الذي عرفته بلاد المغرب الأوسط منذ زوال الدولة الزيانية،

نتيجة لكثرة الاضطرابات الداخلية، وكذا انتشار الأمراض المعدية مثل مرض الطاعون بين السكان.<sup>18</sup>

كما وجدت العديد من العوامل التي أثرت في الوفادة الأندلسية على بلاد المغرب الأوسط، لم نذكرها في هذه الورقة البحثية، لكثرة تناولها في الدراسات التاريخية.

### 5. أوجه التأثير الأندلسي في العمارة المغرب أوسطية: يشكل الموروث الأندلسي ركيزة

أساسية في التراث المعماري للمغرب الأوسط، وقد أسهمت الهجرة الأندلسية في نقل تقنيات البناء، وأساليب الزخرفة، وتصاميم المباني إلى المنطقة، مما أثرى التراث المعماري المغربي بشكل كبير، حيث تعتبر العديد من المباني الأندلسية من أهم المعالم التاريخية في المنطقة، وبناءً على هذه المعطيات يمكن التساؤل عن مدى تأثير الوافد الأندلسي في تطور فن العمارة في المغرب الأوسط؟ تعود جذور التأثيرات المعمارية الأندلسية على عمارة ومدن المغرب الأوسط إلى عهد الدولة المرابطية (448-541هـ / 1056-1147م) التي سيطر عليها الطابع البربري، وبعد انضمام الأندلس إليها اهتموا بالعمارة وأولوها العناية الفائقة، وامتزج فنهم بالفن الأندلسي منتجاً فناً معمارياً ممزوجاً بالطابع المغربي وهذا التأثير يظهر جلياً في المباني الأثرية<sup>(19)</sup>، حيث تظهر التأثيرات الأندلسية في العمارة المغرب أوسطية بصورتها الواضحة في عهد الأمراء المرابطين، فقد نقل هؤلاء الطراز الأندلسي إلى المساجد، في جزائر بني مزغنة وتلمسان، ولا يكاد يفصل أحد بين التشابه بين مساجد الأندلس والمساجد المرابطية، حيث تميزت العمارة المرابطية في مبانيها الأولى بالخشونة في تنفيذ المباني والأعمدة والابتعاد عن مظاهر الزخرفة، باعتبارها تتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي، ولكن سرعان ما تلاشت تلك الخشونة العمرانية باندماجهم مع حياة الترف الأندلسية، وتأثرت بذلك العمائر الدينية المغربية بنظيراتها الأندلسية.<sup>(20)</sup>

" مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

6. الأثر الأندلسي في بناء المدن بالمغرب الأوسط: تمكّن الأندلسيون من إبراز مهاراتهم العمرانية والثقافية كطريقة بناء المساجد والبيوت وقنوات الري وحتى طريقة استغلال الأراضي، فقد أصبحت النموذج المتبع في حواضر المغرب الأوسط، ولا تختلف القصور الموجودة في قرطبة وغرناطة وغيرها من المدن الأندلسية عن تلك التي بناها الأندلسيون في المغرب الأوسط (الجزائر حالياً).<sup>(21)</sup>

فقد عمل أمراء المرابطين على جلب مهندسين وصنّاع من الأندلس واعتمدوا عليهم كل الاعتماد في بناء المنشآت المعمارية<sup>(22)</sup>، وهذا ما ذكره ابن خلدون في قوله: " واستدعى لها الصنّاع والفعلة من الأندلس لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليها السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله"<sup>(23)</sup>، وبسبب هذا التواصل الحضاري والاحتكاك بين مسلمي المغرب ومسلمي الأندلس عرف الجانب الفني والمعماري تطورات ملحوظة تمثل في الابتكارات الجديدة في فنون العمارة والزخرفة التي أسهم فيها الفنانون والمعماريون الذين جلبوا من قرطبة<sup>(24)</sup>، وقد ساهم الأندلسيون حتى في إعادة بناء مدن بأكملها أهمها:

6.1. بناء مدينة تنس: تضافرت عدّة جهود وظروف ساهمت في إنشاء المدن الساحلية في المغرب الأوسط، وكان من المدن مدينة تنس، ومن أهم هذه الظروف استقطاب بلاد المغرب للبحارة الأندلسيين القادمين من قرطاجنة والشرق الأندلسي بصفة عامة، اللذين انتهزوا فرصة الحروب الأهلية الأندلسية لتأسيس مرافئ على السواحل المغربية لتسويق المنتجات الأندلسية ومقايضتها بالمنتجات الزراعية والحيوانية في المنطقة، وتمكن هؤلاء البحارة التجار من القيام بأول عمل عمراني على الواجهة الساحلية للمغرب الأوسط، حيث أسسوا مدينة تنس الحديثة سنة 261هـ/875م، وربطوها تجارياً بمدينة بجاية في الأندلس<sup>(25)</sup> وأصبحت مدينة تنس محطة تجارية هامة وأكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها ببضاعتهم<sup>(26)</sup>، وقد أشارت المصادر الجغرافية وبصورة واضحة لموقع تنس في الخريطة الاقتصادية للمغرب الأوسط نتيجة علاقتها بمختلف الحواضر<sup>(27)</sup>، ويعتبر الجغرافي البكري كأول متكلم عن بنائها من طرف

الأندلسيين في كتابه المسالك والممالك حين يتحدث عن هذه المسألة<sup>28</sup>، ويعود تطور هذه المنطقة لموقعها التجاري والاستراتيجي الذي كان يمثل منطقة عبور بين المناطق الداخلية لبلاد المغرب الأوسط خاصة تيهرت الرستمية، وبلاد الأندلس كمرسية والبيرة<sup>(29)</sup>، ولا ينكر الباحث في تاريخ هذه المنطقة أنها كانت موجودة منذ القَدَم وهذا ما ذكرته بعض الأبحاث في التاريخ القديم<sup>(30)</sup>، وهذا يشير إلى أن الأندلسيين لم يؤسسوا هذه المدينة؛ بل أعادوا بنائها وتعميرها.

**6.2. بناء مدينة وهران:** تتفق المصادر أن وهران مدينة قديمة تعود إلى عهد الفينيقيين، ويأتي دور البحارة الأندلسيين كباعث لهذه المدينة في العصر الإسلامي. حيث تشير المصادر الإسلامية إلى الوفاق بين قبائل تلك المنطقة كقبيلة مسقن وقبيلة ازداجة وقبيلة نفزة بإيعاز من الأمير الأموي مُجَّد بن عبد الرحمان الأوسط (238-273هـ/852-886م) كدلالة على الإسهام الأندلسي في بعث المدينة وتطويرها. وقد أشار إلى هذا صاحب الاستبصار من خلال قوله: "بناها جماعة من الأندلسيين البحرين بسبب المرسى بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين لها، فسكنوها مع قبائل البربر يقال لهم بني مسكين نحو سبعة اعوام"<sup>(31)</sup> وقبله تحدث الجغرافي البكري في نص كتابه قائلا: "وبنى مدينة وهران مُجَّد بن عبد عون ومُجَّد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحرين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق مع نفزة وبني مسقن وهم من ازداجة وكانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين فاستوطنوها سبعة اعوام"<sup>(32)</sup> كل هذا يؤكد إسهام الأندلسيين في بعث هذه الحاضرة الغنية بخيراتها من جديد، وقد دعمت العديد من النصوص المصدرية لمؤلفين جغرافيين ومؤرخين أمثال الحموي وابن خلكان وابن خلدون والحميري هذه المعلومات يمكن الرجوع إليها لمزيد من الفائدة.

## " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

**6.3. بناء مدينة شرشال:** سكن الأندلسيون مدن المغرب الأوسط كوهران ومليانة والجزائر وبجاية وغيرها، كما استوطنوا مدينة شرشال التي هي مدينة قديمة التأسيس، لتصير فيما بعد مخربة ومهجورة، وهذا ما جاء في نص الوزان قائلا: " فخرت المدينة وهجرها أهلها، وبقيت مهجورة لأكثر من ثلاثمئة سنة<sup>(33)</sup>، ثم أعاد الأندلسيون (الغرناطيون) بناءها، بحسب تصريح الحسن الوزان: " فقصدتها الغرناطيون إذ ذاك وأعادوا بناء عدد مهم من دورها، وجددوا القلعة وزرعوا الأراضي بينهم، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة، واشتغلوا بصناعة الحرير، إذ وجدوا هنالك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود، فعاشوا في رخاء دائم حتى أصبحوا يسكنون في مائتين وألف بيت"<sup>(34)</sup> وهذا من أهم الدلائل على التأثير الإيجابي الأندلسي على مدن بلاد المغرب الأوسط. وكان قد فتح المسلمون مدينة شرشال سنة 90هـ/709م، التي عرفت بتحضرها وتنوع ثرواتها، وعذوبة مياهها، شأها شأن جل مدن المغرب الأوسط: " مدينة شرشال صغيرة لكنها متحضرة وبها مياه جارية وآبار معينة عذبة وبها فواكه حسنة كثيرة وسفرجل... ولأهلها مواشي وأغنام كثيرة والتحل عندهم كثير العسل... ولهم من الحنطة والشعير ما يزيد عن الحاجة"<sup>(35)</sup>. كما نضيف من الإنجازات العمرانية الأندلسية في بلاد المغرب الأوسط مدينة البليدة والقلعة وتلمسان، هذه الأخيرة التي لم تكن مدينة علوم فقط، بل مدينة فنون بعدما نزع إليها مهندسون وخبراء في فن العمارة، وما يقتضيه هذا الفن من زخارف ومنمنمات حتى صارت فيما بعد من أهم الخصوصيات الفنية لمدينة تلمسان<sup>36</sup>

لقد امتلك المغرب الأوسط العديد من المؤهلات مما جعل الرحالة والمهاجرون الأندلسيين يستقرون بها ويؤسسون مدنا وبنائات ومنشآت للري والصيد والتنزه ودور عبادة "مساجد ومصليات" ذات الطراز المعماري الأندلسي بتنظيمها الجيد، فالمدن مثلا كان تقسيمها إلى أحياء وفقا لوظائفها الاجتماعية والاقتصادية، كما أعيد تخطيط مدن أخرى لتناسب مع الأسلوب الأندلسي.

**6. اللّمسة والذوق الأندلسي في العمارة المغرب أوسطية:** لم يكن حضور الأندلسيين ببلاد

المغرب عموما والأوسط منه خصوصا حضورا شكليا، بل ترك هذا بصمة ضافية تؤكد على قيمة التأثير الأندلسي على مستوى الفنون والآداب والسلوك، ومن أبرز التأثيرات الأندلسية ما وجدناه

على مستوى العمارة الدّينيّة، حيث يتجلى بصفة واضحة في جوامع مدن المغرب الأوسط ومنها الجامع الكبير بتلمسان، فهو يشبه إلى حد كبير جامع قرطبة لاسيما في المحراب، سواء في الشكل أو حتّى القوس<sup>(37)</sup>، كما أن الزخارف والكتابات الموجودة عليه هي شبيهة بتلك الموجودة بجامع قرطبة في الأندلس، حتّى أن الزيادات التي كانت تضاف إليه مشابها جدا لمسجد قرطبة<sup>(38)</sup>، خاصة في قبتة التي كانت تتقدم المحراب والتي تتكون من اثني عشر عقدا تتقاطع فيما بينها<sup>(39)</sup> وتعد هذه القبة هي الأولى من نوعها التي شيّدت في بلاد المغرب، وتبلغ مساحته ثلاثة آلاف متر مربع، ولديه محراب كبير يتكون من ثلاثة عشر بلاطة تتجه عموديا إلى جدار القبلة، يحدها اثنا عشرة سقفا من الدعائم المربعة<sup>(40)</sup> عُرف باسم مسجد تلمسان الأعظم، كان تصميمه على شكل مستطيل يتكون من بيت للصلاة وصحن مربع تتوسطه نافورتان.<sup>(41)</sup>

كذلك من أهم المساجد ذات الطابع الأندلسي، المسجد الذي أسسه السلطان الزياني يغمراسن سنة 696هـ/1296م وكان تشييده تكريما للأمير إبراهيم يغمراسن، وهذا ما دلت عليه النقوشات في الجدار الغربي من بيت الصلاة، وهو قريب من المسجد الأعظم، ويظهر صغير الحجم مقارنة بغيره من مساجد تلمسان الأخرى<sup>(42)</sup>، وقد ظهر واضحا من خلال زخرفة سواريه المنحوتة من الرخام التأثير بالهندسة المعمارية الغرناطية.<sup>(43)</sup>

كما لا ننسى الموروث الفني المعماري الأندلسي في جامع سيدي الكبير أبي مدين الغوث، الذي بناه السلطان أبو الحسن المريني حينما استولى على أجزاء كبيرة من بلاد المغرب الأوسط سنة 737هـ/1337م، حيث تشبه زخارفه الهندسية تلك الزخارف بقصر الحمراء بغرناطة، ويتّضح ذلك من خلال الهندسة المعمارية الأندلسية الموجودة في مدخله الأنيق وبابه البرونزي، والزخارف التي تكسو الجدران، وكذا سقفه المزين بالقبة المزخرفة بالمقرنصات وخاصة التوريقات.<sup>(44)</sup>

## " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

كما تمكّن الأندلسيون من بناء أكبر مسجد في شرشال والذي عرف بالمسجد الكبير أو مسجد المائة عرصة، الذي بناه قاضي غرناطة أبو عبد الله محمد بن سي عباد الأندلسي خلال 10هـ/16م، هذا الأخير الذي يتكون من ثلاثة حصون تقوم على مائة عمود والتي كانت لا تخلو من الزخرفة الفنية وكان هذا البناء على النمط الأندلسي. (45)

ويبرز الموروث الأندلسي - أيضا - في مؤسسات الزوايا ودور العلم التي عكف المتصوفة والعلماء الأندلسيون على النشاط من خلالها، ومن ذلك الزاوية التي بناها أبو الفضل قاسم بن محمد القرطبي ببيجاية، وزاوية أبي مدين شعيب التي يظهر عليها التأثير الأندلسي من خلال النقوش وأنحاءات الزخارف النباتية، وقد تحولت هذه الأخيرة إلى مدرسة في تلمسان. (46)

7.1. القصور والبيوت السكنية: يظهر التأثير الأندلسي واضحا في الفن المعماري على مستوى منازل قصبات مدن المغرب الأوسط من خلال الأعمدة الملتوية المزينة بها المنازل، والملاحظ أن تلك البيوت خالية من نوافذ تطل على الخارج باستثناء بعض الفتوحات الصغيرة التي وضعت للتهوية. (47)

كما تتميز النوافذ الصغيرة المطلة على الشوارع بنوع من الحماية بواسطة شبابيك مزخرفة ومحصنة تحتوي على نقوش، وهي نفس الزخارف والنقوش التي نجدها في الجدران والأسقف، كما تغطي أرضية الغرف بالزليج الذي يحتوي على أشكال هندسية مختلفة، وكان يستخدم القرميد الأجوف الأحمر أو المائل إلى الزرقة في تغطية سقوف المنازل. (48)

حتى أن المباني الحكومية نالت هي الأخرى حظها من اللّمسات والذّوق الأندلسي من خلال المنقوشات والزخارف، وهذا ما تنبه إليه هايدو وهو يشير إلى التغيرات التي شهدتها قصر الجينية من زخارف ملوّنة وأعمال فنية وتشطيبات خشبية بها أزهار وأوراق نباتية على الطراز الموريسكي. (49)

وهكذا صار الفنّ المعماري الأندلسي شائعا في أغلب مدن المغرب الأوسط التي سكنها الأندلسيون، حيث يبرز بنمطه وشكله ولمساته مختلفا في تفاصيله - وليس في أساسياته - عن فن العماران المغربي، فقد كان منهجهم في بناء المدن يعتمد على الطابق الأرضي والذي كان بدوره مقاما من الآجر والحجارة

والطين المعالج، ولعل تفحص قصور وحدائق وجنات تلمسان التي ازدهرت ازدهارا فائقا - محاكية مدن الأندلس - في عهد أبي تاشفين عبد الرحمان الأول(737-718هـ/1318-1337م) يبرز هذا التأثير والتأثير. وإنه بالتمعن في أهم القصور كالمشور<sup>(50)</sup> ودار الملك ودار السرور ودار أبي فهر نتأكد جليا من قيمة الحضور للفن الاندلسي في العمران التلمساني وباقي مدن المغرب الأوسط التي صارت ملاذ الاندلسيين، خصوصا في عهد السلطان ابي تاشفين الذي يظهر ولو عا بالبناء والتشييد... فقد كان يطلب من السلطان التصري أبي الوليد إسماعيل(752-713هـ/1351-1313م) أن يبعث له عدد من صناع الأندلس وفنانيتها لبناء القصور بتلمسان<sup>(51)</sup>، وهذا على غرار ما كان يفعله والده السلطان أبي حمو موسى الأول(817-808هـ/1415-1406م).<sup>(52)</sup>

كما توسع استعمال البلاط المزجج (الزليج) الذي هو ميز العمارة الأندلسية، مما جعل مدن تلمسان شبيهة بمدن قرطبة نتيجة التأثير المعماري عليها.

وقد ساهم الأندلسيون أيضا في تحصين المدن فشيّدوا قلاعاً وحصونا، وهذا ما نلاحظه بتفحص حصن المقام المبني على إحدى الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، حيث شيّده الأندلسيون أواخر القرن 15م، واستخدموه كمنارة لإرشاد السفن وهذا قبل أن يقيم القائد الإسباني بيدرو نافارو مكانه حصن البنيون، كما قام الثغريون<sup>(53)</sup> ببناء حصن خارج باب الوادي للدفاع عن المدينة.<sup>(54)</sup>

**2.7. الحدائق والفضاءات المفتوحة:** تأتي الحدائق التي شيّدت في الأماكن العامة والفضاءات الواسعة والبيوت كعلامة اندلسية محضة، فبقدر ما كانت المساجد تزين بالورود وأنواع الكروم والأشجار كانت المنازل الأندلسية تزين بحدائق بديعة مزخرفة بالرسوم والنباتات التي تتوسط أفنيتها، مثلما استخدمت النقوش الرشيقة وتمثيل الحيوانات والفوارات للترين، بالإضافة إلى جلب المواد المرمرية الملونة كالتفنن في الأشكال الهندسية، وانتشر عند بعضهم خاصة الأثرياء منهم تزين منازلهم وحدائقهم وأحواشهم ببعض

## " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

الألات الموسيقية والزرايبي الرفيعة وجلود الحيوانات النادرة والتحف الفضية والذهبية والساعات وغيرها من أشكال التزيين. (55)

## 8. الخاتمة:

نخلص من خلال هذه الورقة البحثية أن الأندلسيين منذ هجرتهم الأولى لبلاد المغرب الأوسط إلى غاية آخرها، لم يجدوا عوائق تحول دون اندماجهم مع سكان المناطق التي سكنوا أراضيها، بل مارسوا عاداتهم وتقاليدهم وتجارهم وجميع فنونهم بكل حرية، وتذكر المصادر التاريخية والجغرافية أن هؤلاء الأندلسيون قد ساهموا وبرعوا في كل المجالات، وكان للجانب الفني والعمراني حضور قوي في ذلك، حيث أنهم بنوا مدنا كانت أطلالا كمدينة تنس ووهران وشرشال، كما قاموا ببناء مدنا جديدة كمدينة القليعة والبليدة، وشيدوا قصورا وجوامع كان التأثير الأندلسي عليها واضح إلى حد جعلها تشبه تلك التي في الأندلس، من خلال الأقواس والقباب وحتى المحاريب والزخارف، ولم يكن هذا التأثير مجرد تقليد أعمى بل كان عملية تفاعلية ديناميكية، حيث تم دمج العناصر الأساسية مع العناصر المعمارية المغرب أوسطية التقليدية، منتجة أسلوبا معماريا جديدا مميذا، فالظاهر أن التأثير المتبادل بين المغرب الأوسط والأندلس يشكل إحدى أهم محاور تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

## 9. الهوامش:

- <sup>1</sup> عبادة بن عبد الرحمان رضا كُحيلة، الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، مصر، 1995، ص60.
- <sup>2</sup> البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المشني، بغداد، العراق، (د ت)، ص70.
- <sup>3</sup> الإدريسي أبو عبد الله مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2002م، ص260.
- <sup>4</sup> بلغيث مُجَّد الأمين:، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص61.
- <sup>5</sup> ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحيى بن مُجَّد الحضرمي، المقدمة، ط1، تحقيق مُجَّد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 3996، ص65.
- <sup>6</sup> ابن خلدون، نفس المصدر، ص ص، 203-204.
- <sup>7</sup> ابن خل دون: عبد الرحمن بن مُجَّد الحضرمي، تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم)، طبعة بولاق، 1284هـ، ج6، ص202.
- <sup>8</sup> أشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف أفريقية الغربي مقابل بجاية في البر. للمزيد أنظر/ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج. 1، ص. 202.
- <sup>9</sup> الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، المرجع السابق، ص ص. 7- 8.
- <sup>10</sup> فرنان برودويل، المتوسط والعالم المتوسطي، تعريب وإنجاز مروان أبي سمرا، د. ط، دار المنتخب، بيوت، ص.47.
- <sup>11</sup> مارمولكربخال، أفريقيا، ترجمة مُجَّد حججي وآخرون، الجمعية الغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة المعارف، الرباط 1984، ج2، ص. 297.
- <sup>12</sup> رشيد يماني، الهجرة الاضطرابية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرن 8هـ / 14م، المجلد2، العدد2، أكتوبر 2019، ص. 44.
- <sup>13</sup> رشيد يماني، نفس المرجع، ص. 47.
- <sup>14</sup> المرجع نفسه، ص. 42.
- <sup>15</sup> ابن عزوز نبيلة، أندلسيو الجزائر آثارهم وتاريخهم - حاضرة تلمسان - أمودجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، إشراف: كروم يومدين، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1438\_1449هـ/2017\_2018م)، ص132.

## " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

<sup>16</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، البصائر للنشر كالتوزيع، ط2، الجزائر، 2013، ص. 13.

<sup>17</sup> يقصد باللجوء السياسي كل نزوح اضطراري بسبب المشاركة في التحريض على السلطة القائمة أو الشعب عليها... أو لرغبة السلطان في إبعاد مجموعة يمكن أن تتور في أي مناسبة، للمزيد أنظر: ابن الأحمر إسماعيل: نثير الجمان فرائد الجمالان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، 1968م، ص40.

<sup>18</sup> حنيفي هلايلي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص23،

<sup>19</sup> عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الادب العربي، 1ط، دار الكتب اللبناني، بيروت، ص137.

<sup>20</sup> مبارك بوطان، التأثيرات الأندلسية الفنية على المباني الدينية بتلمسان، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، ص87.

<sup>21</sup> رفيدة، شقرون، قراءة تقييمية في أثر الفن المعماري الأندلسي والمدجن على الفن المعماري للمغرب الأوسط، (مجلة الإمارات للبحوث الأندلسية، 2018)، ص23.

<sup>22</sup> إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط1، دار الرشاد الحديثة، 1984م، ص34.

<sup>23</sup> ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد الحضرمي)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000م، ج7، ص. 19.

<sup>24</sup> عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الفن الإسلامي في المغرب، ع3، مجلة المنال، 1 يوليو 1975، ص. 54.

<sup>25</sup> علاوة عمارة، الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في العمران، سلسلة أعمال ملتقيات محجر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، جامعة قسنطينة 2، الجزائر، 2014م، ص. 46.

<sup>26</sup> مطهري فطيمة، مدينة تنس ثغر الأندلسيين ومحطة تجارهم وعبرها إلى بلاد المغرب الإسلامي، مجلة القرطاس، العدد الثالث، جانفي 2017م، ص. 147.

<sup>27</sup> المرجع نفسه، ص. 148.

<sup>28</sup> البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، بروت، دار الكتب

العلمية، 2003م، ج2، ص242.

<sup>29</sup> فراج وسيلة، الخصائص الجغرافية لأهم المدن الساحلية بالمغرب الأوسط من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، (مجلة قضايا تاريخية، العدد15، الجزائر، 2021م)، ص. 28.

<sup>30</sup> سلاطينية عبد المالك، المستوطنات الفينيقية- البونية في الحوض الغربي للمتوسط، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م، ص. 180.

<sup>31</sup> مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشره وعلق عليه سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص. 133.

- <sup>32</sup> البكري، المصدر السابق، ص. 738.
- <sup>33</sup> حسن الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص 34.
- <sup>34</sup> نفسه.
- <sup>35</sup> الإدريسي، المصدر السابق، ص. 258.
- <sup>36</sup> عبد الملك موساوي، فن الزخرفة في العمارة الإسلامية بتلمسان المساجد والمدارس، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2011، ص ص 6-7.
- <sup>37</sup> صادق خشاب، تأثير الفن الأندلسي على نظيره المغاربي نموذج تلمسان، رسالة ماجستير في الفنون الشعبية، جامعة تلمسان، 2001، ص. 98.
- <sup>38</sup> عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ج 2، ص. 59.
- <sup>39</sup> جيلالي شقرون، تلمسان مركز إشعاع حضاري، مجلة الفقه والقانون، جامعة سيدي بلعباس، المملكة المغربية، ص. 60.
- <sup>40</sup> عبد الكريم عزوق، تطور المآذن في الجزائر، (د ط)، مكتبة زهرة الشرق، (د ت)، ص 83.
- <sup>41</sup> جيلالي شقرون، المرجع السابق، ص 60.
- <sup>42</sup> عبد الكريم عزوق، مرجع سابق، ص ص 59-60.
- <sup>43</sup> صالح، بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 115-121.
- <sup>44</sup> عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص. 61.
- <sup>45</sup> ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 2، ص ص. 27-28.
- <sup>46</sup> بوخاوش مريم، آثار سقوط الأندلس على المغرب الأوسط 6-10هـ/12-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2014، 2015، ص ص. 418-419.
- <sup>47</sup> مهدي طيبي: مقارنة للوضع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر: القرن (1م-18م) من خلال محاكم التفتيش، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: فلة موساوي \_القشاعي، تخصص تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص. 116 .
- <sup>48</sup> ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 99.

## " مقارنة وصفية في التاريخ والتراث "

<sup>49</sup> بدر الدين بلقاضي، مصطفى بن حموش، تاريخ وعمران قصبة الجزائر من خلال مخطوط ألبير ديفولكس، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ص. 240.

<sup>50</sup> قصر المشور: يقع بالقطاع الجنوبي الشرقي لتلمسان، ويعد بما يحتويه من مبان مختلفة من أبرز المنشأة المعمارية بهذه المدينة، يشغل هذا القصر مساحة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب نحو 55م، ويبلغ عرضها من الشمال إلى الجنوب نحو 39م؛ شيدت جدرانه من الأجر... أسس في منتصف القرن (7هـ/13م)؛ أنظر / محمد السيد محمد أبو رحاب، قصر المشور الزياني بمدينة تلمسان دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد الثامن والخمسون، يناير، 2006م، ص ص 184، 185، 188.

<sup>51</sup> التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف منظم الدر والعقبان، تحقيق محمود بوعياض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 139 - 141؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني " حياته وآثاره"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر، 1974، ص ص. 60 - 61.

<sup>52</sup> صادق خشاب، المرجع السابق، ص. 99.

<sup>53</sup> الثغريون: هم سكان الثغور مثل كاطالونيا وأرغون وبلنسية وقد عرفوا بجماعة الثغريين، وأنشأوا حيا خاصا بهم خارج الباب الجديد يعرف ليومنا هذا بحي الثغريين (تاگران tagarins) سعيدوني، المرجع السابق، طبعة دار البصائر، ص. 19.

<sup>54</sup> ناصر الدين سعيدوني، مرجع سابق، ص ص. 20 - 21.

<sup>55</sup> بشير بوقاعدة، ١ مرجع سابق، ص. 187.